حرف الباء

لو أن للموت شخصاً

خرج يوماً من الحي لنجدة صديق له من بني مازن يقال له حصن بن عوف، وعند رجوعه إلى ديار قومه تذكر أرض الشربة والعلم السعدي، حيث كانت عبلة، وكانت قد طالت غيبته، فقال:

[المتقارب]

تُـــرَى هـــذِهِ رِيـــحُ أرْضِ الـــشَّـــرَبّـــه،
أمِ الـمِـسْـكُ هَـبّ مـعَ الـرّيـحِ هَـبّـهْ[١]
وَمِـــنْ دارِ عَـــبْـــلَـــةَ نَـــارٌ بَـــدَتْ،
أم الـبَـرْقُ سَـلّ مِـنَ الـغَـيـمِ عَـضْـبَـهْ[٢]؟
أعَـــبْـــلَـــةُ، قَـــدْ زَادَ شَـــوْقـــي، وَمَـــا
أرَى الـــدّهْـــرَ يُـــدْنـــي إلـــيّ الأحِـــبّـــهْ[٣]

(١)، (٢) الشربة: هضبة دون المدينة. نسيم عليل رقيق تنسّم الشاعر عبيره؛ طارت به الذكرى إلى تلك الربوع، تلك الهضبة التي ألفت خطى عبلة المحبوبة؛ فخباؤها الهاجع في ذلك المكان، ونار تنبئ عن حركة وحياة زاخرة، أم أن البرق جرّد سيف النقمة والقسوة على تلك البقعة من الأرض، فكانت أمطار تحمل معها الموت ورياح عاتية لا تبقي ولا تذر.

(٣) يخاطب الشاعر عبلة كاشفاً عمّا يُعانيه؛ فشوقه يزداد باضطراد، والدهر لا =

وَكَـمْ جَـهْـدِ نَـائِـبَـةٍ قَـدْ لَـقـيـتُ،
لأجْـلِـكِ يـا بـنْـتَ عَـمّـي، وَنـكْـبَـهْ[١]
فـلَـوْ أنّ عَـيْـنَـيْـكِ، يَـوْمَ الـلّـقَـاءِ،
تَـرَى مَـوْقِـفـي، زِدتِ لـي فـي الـمـحـبّـهْ[٢]
يُـفـيـضُ سِـنَـانـي دِمَـاءَ الـنُّـحُـورِ،
وَرُمْـحـي يَـشُـكّ مَـعَ الـدّرْعِ قـلْـبَـهْ[٣]
وَأفْـرَحُ بـالـسّـيْـفِ، تَـحْـتَ الـغُـبـارِ،
إذا مـا ضَـرَبْـتُ بـهِ أَلْـفَ ضَـرْبَـهْ[٤]
وَتَـشْـهَـدُ لـي الـخـيـلُ، يـوْمَ الـطِّـعـانِ،
بـأنـي أُفَـرِّقُـهَـا أَلْـفَ سُـرْبَـهْ[٥]

= يعمل على ردم هوّة البعد لتقرب المسافات بين الأحبّة.

(١) ولطالما واجه الشاعر المصاعب والنكبات وتغلّب عليها في سبيل غاية واحدة وغرض نبيل أن ترضى عنه ابنة عمّه وتردم الهوّة التي تفصله عنها.

(٢) المرأة في بيئة كهذه تحتاج إلى من يحميها ويُقدّم الروح فدًى لها، يلفت الشاعر نظر من يحبّ إلى شجاعته وحسن بلائه في الحروب، ولا شكّ أن هذا يزيدها إعجاباً به وحبًّا له.

(٣) سناني: رمحي. النحور، واحدها نحر: الرقاب. يصف الشاعر حسن بلائه في الحرب؛ فرمحه يخترق الأجساد والنحور، حتى الدروع تستقبل رمحه معلنة عن انتصاره وموت أعدائه.

(٤)، (٥) وشعور الشاعر بفرح يغمر قلبه، وقد تغطى سيفه بلون أحمر قانٍ، والغبار يتصاعد في السماء معلناً عن شدّة الصراع وهوله وتتسارع الضربات وتتهاوى القتلى صرعى على صعيد عطش لدماء الأقوياء، وثمّة شاهد يشهد شهادة صدق إنها الخيول التي تنفرج عن بطل يُشتتها وينثر فرسانها فيزرعها طول الأرض وعرضها.

وَإنْ كـــانَ جِـــلْـــدي يُـــرَى أسْـــوَداً،
فَـلـي فـي الـمَـكـارِمِ عِـزٌّ وَرُتْـبَـهْ[١]
وَلَـوْ صَـلّـتِ الـعُـرْبُ، يـوْمَ الـوَغـى،
لأبْـطَـالـهـا، كـنـتُ لـلـعُـرْبِ كَـعْـبَـهْ[٢]
وَلَـوْ أنّ لـلـمَـوْتِ شَـخْـصـاً يُـرَى،
لَـرَوّعْـتُـهُ، وَلأكْـشَـرْتُ رُعْـبَـهْ[٣]

سيفي أنيسي

قال عند مبارزته روضة بن منيع السعدي، وكان قد جاء بلاده ليخطب عبلة بنت مالك:

[البسيط]

كَـمْ يُـبـعِـدُ الـدهـرُ مَـن أرْجـو أُقـارِبُـهُ،
عَـنـي، وَيَـبْـعَـثُ شَـيْـطـانـاً أُحـارِبُـهُ[٤]

(١) يعرّج الشاعر على مشكلته، المتمثلة بلون أسود، عنوان العبودية في ذلك المجتمع، ولا ريب أن بيض الفِعال تُغطّي ظلمة ذلك اللون وما تُمثله.

(٢) يلجأ الشاعر إلى مقارنة التضاد؛ فالصلاة تكون لمسبب الوجود والبقاء، ويوم الحرب ثمّة بطل من يمنع قومه ذلّ وعار الهزيمة إنه عنترة، وجدلاً صلّت الأعراب لفرسانها في الحروب لشكرهم، فلا بدّ لبني عبس أن يجعلوا عنترة كعبة يحجّون إليها ويحتمون بأركانها.

(٣) ومغالاة التحدّث حملت الشاعر على تحدّي الموت، ممّا يحمله على الخوف من مجابهة الشاعر في القتال، مخافة أن يموت الموت من هول ضرباته.

(٤) يستغرب الشاعر كيف أن الزمن يعمل على تفريق الأحبّة لاختلاف =